بهرا الضياء
Bahra No. 412 Sun. 2 Dec 2007

خواطر تاريخية

عدنان محمد

بغداد.. متشابهات

هناك عدة مدن حملت اسم بغداد تأثرا بها من هذه المدن مدينة فاس حيث اطلق عليها بغداد المغرب وكذلك أطلق هذا الأسم على احدى مدن بولندا وكذلك في استراليا وأطلق على عاصمة تنزانيا دار السلام وهناك قرية من قرى المنوفية في مصر أطلق عليها قصر بغداد وكذلك على احدى مدن جورجيا. اما السبب في ذلك فلا بد وان يرجع الى الصيت الذي وصلت اليه هذه المدينة من تطور وعمران بحيث انها كانت محط اهتمام البلدان.

ومن اسمائها ايضا وكما هو شائع الزوراء وقد تقدم ذكر ذلك في سبب هذه التسمية. "لازورار أبوابها في السور الداخلي عن أبوابها في السور الخارجي".. وبالطبع فإن هذا رأي من الآراء.. وقد أصبحت هذه المدينة عامرة بكل ما فيها وطالتها الخضرة والبساتين لخصب أرضها وقربها من النهر بل وانه توسطها.. بحيث ان احدهم وصفها لما سئل كيف وجدت الزوراء؟، أجاب هذا الرجل: "الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها". حتى ان احدهم قال فيها أيضا:

لهفي على بغداد من بلدة
كانت من الأسقام لي جُنّة
كأنني عند فراقي لها
آدم لما فارق الجنّة

وقد وصف الباحثون والمهتمون بغداد بأوصاف لم توصف بها مدينة من قريناتها ولم يأت هذا من فراغ حيث الازدهار الاقتصادي وكثرة أسواقها وتعدد ضروبها ووفرة السلع وطيب هوائها وعذب مائها وربيعها وخريفها.. وخصوبة أرضها وسعة ربعها.. وانتشار جسورها وخاناتها وكيف انها أصبحت مرادا للقادمين إما للكسب أو المكوث، فهي كانت قبل ان تنشأ مدينة عصرية.. مكانا يأتي اليه القادمون تنزها لاعتدال هوائها ووفرة خضرتها.. فقد كان ملوك البابليين يتوافدون عليها.. للاستجمام..

حتى وصلت الى ما وصلت اليه في القرن الثاني والثالث الهجري وما بعد ذلك من تطور في العمارة والصناعات والتجارة وقد ذكرت بعض الكتب أرقاما بعدد حمامات بغداد وجسورها وجوامعها ومنشآتها وطرقها وجاداتها.. وعدد العاملين في هذه المنشآت وصلت هذه الأرقام الى الكثرة بحيث أن القارئ يحس بالمبالغة في ذكر الأرقام. لا ننفي ان تكون تلك المنشآت وأعداد السكان قد وصلت الى حد كبير وهو اضطراد طبيعي بين ذلك التطور وحاجة الناس الى العمران والبنيان.

ازدادت محلات بغداد وكما ذكر حسب الحاجة الى ذلك فبعد قرون من بناء بغداد وصلت عدد محلاتها من الجانب الغربي الى احدى عشرة محلة ما زال الكثير منها لوقتنا هذا وبنفس الاسماء، واما الجانب الشرقي من المدينة فقد بلغت محلاته خمسة عشر محلة.. تفرعت من بعض هذه المحلات محلات فرعية وكذلك الحال بالنسبة للجانب الغربي.

أعلام السريان

حنين بن اسحق ودوره في حركة التأليف والترجمة السريانية والعربية

فؤاد يوسف قزانجي

هو أبو زيد، حنين بن اسحق العبادي "١٩٤-٢٦٠هـ" والعبّاد قبائل من بطون العرب اجتمعوا على المسيحية بالحيرة، وكانوا قد هاجروا مع قبائل عربية اخرى مثل بنو شيبان واياد واسد اليها من اليمن وبعض اجزاء من الجزيرة العربية في القرن الثالث للميلاد خاصة بعد خراب سد مأرب وامسى العيش صعبا في بعض انحاء اليمن.

ولد حنين في الحيرة عام "٨١٠م" وكان والده صيدلانيا له حانوت لطب الأعشاب والنباتات، فنشأ حنين محبا لمهنة الطب تواقا لها. وكان انسانا مؤمنا بدينه مواضبا للذهاب الى الكنيسة حتى صار يخدم فيها كساعور، وينسب اليه عبديشوع الصوباوي تأليف كتاب "مخافة الله" خلال فترة شبابه. ويبدو انه تعلم في شبابه كتابة السريانية وربما الفارسية اضافة الى اللغة العربية، ويذكر ابن أبي أصيبعة عن بداية شبابه قائلا: "ان اول ما حصل لحنين من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب، سافر الى بغداد ملتحقا بمجلس الطبيب يوحنا بن ماسويه" الذي كان مشرفا على اطباء البلاط العباسي.

وكان حنين إذ ذاك يلحّ في السؤال بمجلس ابن ماسويه، وهذا ما كان يصعب على يوحنا، وكان يباعده في قلبه، اذ ان حنين من اهل الحيرة الذين يشتهرون بالتجارة والصيرفة. فسأل حنين عن بعض ما كان يقرأ عليه من مسائل في الطب، فغضب أستاذه يوحنا وقال له: "ما لأهل الحيرة وتعلم صناعة الطب!، صر الى فلان قرابتك حتى يهب اليك مالا تتعامل به في الصيرفة". ثم أمر به فأخرج من مجلسه، فخرج حنين حزينا مكسور الجناح.

وعوّل بالاعتماد على نفسه في تعلم الطب. وغاب عن اهله سنتين سافر فيها الى بلاد الروم قضاها في إحكام تعلم اللغة اليونانية التي كانت مصدرا رئيسا لتعلم الطب، وتوصل هناك في تحصيل بعض كتب الحكمة والطب وقراءتها. وكان حنين قبل ان يلتحق ببيت الحكمة شعث الشعر وينشد شعرا باليونانية لعله لهوميروس، كما يقول ابن القفطي. ثم سافر الى بغداد وعمل مترجما في بيت الحكمة وذلك في نهاية عهد الخليفة هارون الرشيد تحت اشراف الحكيم جبرائيل بختيشوع. وقد ترجم الى جبرائيل أقساما قسّمها بعض الروم من كتب جالينوس أشهر طبيب يوناني.

وكان جبرائيل يخاطبه بكل احترام وتبجيل. وحدث ان اطلع كبير الأطباء يوحنا بن ماسويه على ما ترجمه حنين من تلك الفصول من كتب جالينوس التي تسمى بالفاعلات، فأعجب بها وانبهر بحسن الترجمة والتعبير فسأل الطبيب قائلا: "أترى المسيح قد اوحى في دهرنا الى أحد؟!". فقيل ليوحنا ان هذه الترجمة الرائعة هي لحنين بن اسحق من اهل الحيرة الذي طردته من مجلسك وأمرته ان يصبح صرّافا (١).

وهكذا اعترف يوحنا انه لم يقدّر حق قدره. ولازم حنين يوحنا بن ماسويه الذي كان مشرفا على الترجمة في بيت الحكمة، وكان حنين انذاك أي في عام "٢٢٥هـ" شابا يبلغ الحادية والثلاثين من العمر تمكنه على قدر كبير من المعرفة. كان الخليفة عبد الله المأمون "١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م" محبا للثقافة ميالا الى الفلسفة والحكمة وكان بينه وبين امبراطور الروم مراسلات، فكتب الى امبرطور الروم يسأله في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المحفوظة في خزائن الكتب في القسطنطينية من المؤلفات اليونانية.

وقد ارسل الخليفة سلما الذي كان صاحب بيت الحكمة كما بعث معه الحجاج بن مطر ويحيى بن البطريق الى بلاد الروم. وبعد ان جلبت الكتب القديمة وغالبيتها في الطب والفلسفة وساهم حنين في ترجمة هذه المؤلفات الى العربية وإصلاح ما ينقله غيره من المترجمين.

نشاط حنين في مجال النقل والترجمة

كان من بين الذين أشرفوا على حركة الترجمة في بيت الحكمة بنو موسى بن شاكر وهم ثلاثة اخوة عرفوا بخبرتهم في علم الحساب والهيئة والآلات، وكانوا يعطون الى جماعة من النقلة ومنهم حنين بن اسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّه وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة. وكانت الترجمة الحرفية سائدة بين النقلة قبل حنين، ولعل أشهر هؤلاء المترجمين الذين اتبعوا هذه الطريقة يوحنا بن البطريق وعبد المسيح بن ناعمه الحمصي وكانوا يترجمون عادة من اللغة اليونانية، ولكن عندما حل حنين في بيت الحكمة، استن طريقة في الترجمة اعتمدت على نقل المعنى الصحيح نقلا دقيقا محكما استنادا الى المعاني الشاملة لكل جملة ترد في النص ومن ربط المعنى الكلي للجمل بعضها مع البعض الآخر. وحسب هذا الأسلوب يتكون مضمون الكتاب او النص المترجم (٢).

وكان التراجمة السريان استنوا تقليدا في نقل علوم ومعارف اليونان الى اللغة السريانية في وقت مبكر ربما من القرن الخامس الميلادي لدعم مدرسة جنديشابور الطبية ومدرسة الرها التي كانت تهتم بالفلك وحركة النجوم. وقد بني أول بيمارستان "مستشفى" في الشرق قرب مدرسة الطب في جنديشابور في بداية القرن السابع للميلاد وكان من اوائل المشرفين على هذه البيمارستان احد اجداد جرجس بن جبرائيل بن بختيشوع وهي الأسرة التي انجبت اجيالا من الأطباء استفادت منهم بلاطات بني العباس وكذلك اكاديمية بيت الحكمة في بغداد.

كان حنين كما ذكرنا في ترجمته حريصا كل الحرص على اداء النص اليوناني اداءا صادقا، واعانه على ذلك انه لم يكن مترجما او ناقلا وحسب، بل كان طبيبا بارعا وذو ثقافة ومنطق ويعرف الفلسفة اضافة الى اجادته للغة العربية. وقد استحكم في الترجمة من خلال وجوده الطويل في بيت الحكمة، ولا نعتقد انه تسلم رئاسة بيت الحكمة في زمن الخليفة المأمون، انما بقيت بعهدة أستاذه يوحنا بن ماسويه، لكن حنين كان هو المسؤول عن الترجمة في بيت الحكمة وحسب، واننا بذلك نختلف مع بعض الذين ذكروا توليه لرئاسة بيت الحكمة من بينهم الباحث ماهر عبد القادر(٣)، والباحث رشيد الجميلي (٤). وفي الحقيقة لقد جعل التراجمة السريان من لغتهم الواسعة التي تنقل منها علوم ومعارف اليونان الى اللغة العربية، وهذا ما طبقه حنين ومدرسته في الترجمة منذ توليه رئاسة الترجمة في اواخر عهد الخليفة المأمون. إذ نرى ان حنينا كان يترجم من اليونانية الى السريانية ليتولى ابنه اسحق أو ابن اخته حبيش وبقية تلامذته تتمة الترجمة الى العربية، ويعود حنين اخيرا يدقق في النص العربي النهائي ويحرره أي يصححه.

ويعلل الباحث رشيد الجميلي في أطروحته المتميزة قائلا: "أنني ارى وراء ذلك رغبة حنين وجماعته في نشر لغتهم السريانية، حيث يضطر الشخص الذي يرغب بالإطلاع على علوم ومعارف اليونان الى ان يتكلم اللغة السريانية: ١. كي يسهل عليه قراءة هذه الترجمات على الرغم من معرفتنا بأن الكتب السريانية كانت تترجم بدورها الى اللغة العربية، ٢. العمل على إغناء التراث السرياني بعلوم ومعارف التراث اليوناني الأمر الذي يكسبه اهمية فوق اهميته الأصلية، ٣. رغبة حنين في اشراك الآخرين من المترجمين الأمر الذي تطلب التوسع في دائرة النقلة السريان" (٥).

كان حنين بالاضافة الى كفاءته في النقل شديد التمحيص والدقة في ترجماته، حيث كان يستعين بنصين او ثلاثة ويقوّمها ثم يكتبها حتى تبدو كالأصل عناية واهتماما، وهذه الأمانة في النقل جعلت الخليفة المأمون يجزل له العطاء.

في الحقيقة ان حنين سلم بالأخذ والعطاء بين اللغتين العربية والسريانية، وكان أسلوبه سهلا واضحا، وفي سبيل الوضوح لا يرى غضاضة في استعمال بعض التعابير العامية المتداولة وكذلك في تخير اللفظ الملائم والتعبير الدقيق الذي كان من مستلزمات التأليف والترجمة لا سيما اذا ما أراد انشاء مصطلحات سريانية أو عربية جديدة.

ألّف وترجم حنين في مجالات علمية متعددة أبرزها الطب المدني وطب العيون أو الكحالة والصيدلة أي امتحان الأدوية والعقاقير العشبية وكذلك الطبيعيات والدين والاخلاق التي ألف لها ثلاثة كتب بالاضافة الى ترجمته على الارجح التوراة حسب النقل السبعيني إلا ان هذه الترجمة لم تصل الينا (٦). وهكذا خلف حنين في الترجمة مدرسة علمية او جيلا من المترجمين التاريخيين أفادوا الثقافة العربية سواء اولئك الذين عملوا معه في بيت الحكمة أو الذين تفرقوا ليستمروا في ترجمة ما تبقى من التراثين اليوناني والسرياني.

ان اولئك المترجمين على اختلاف اثنياتهم، كانوا يستخدمون طريقة المقابلة بين النسخ، وكانوا قد استفادوا كثيرا من ترجمات حنين التي زخرت بالمصطلحات العربية الجديدة في الطب (٧).

حنين والطب

خلّف حنين وراءه ثروة فكرية هائلة تمثلت في مؤلفاته في طب البدن وطب العيون والأدوية بالاضافة الى ما ترجمه من كتب جالينوس وابقراط وغيرهما في الطب، يساعده عدد من التلامذة في النقل والمعرفة الذين عملوا في بيت الحكمة وقد بلغ عددهم اكثر من عشرة مساعدين بينهم ابنه اسحق الذي كان طبيبا وعارفا بالفلسفة ويعد من افضل مترجمي الفلسفة وابنه الآخر داود الذي لا نعرف شيئا عن نشاطه، وابن اخته حبيش بن الحسن الاعسم واصله من سريان انطاكيا وعيسى بن يحيى بن ابراهيم ومنصور بن باناس واصطيفان "اصطفى" بسيل "باسيل" وموسى بن ابي خالد ويحيى بن هارون وابو عثمان بن علي وغيرهم. وقد ترجم حنين معظم كتب جالينوس التي وصلت بيت الحكمة، واورد الباحث ماهر عبد القادر "١١٢" كتابا مترجما لحنين منها "١٦" كتابا من تأليف جالينوس (٨).

بعض المؤرخين والباحثين أو الكتّاب وصفوا حنين بن اسحق بأنه ناقل او مترجم جيد وحسب، ولكن الحقيقة ان حنين يعد واحدا من أبرع الأطباء في تاريخ الطب السرياني- العربي، كما انه يعد عالما في الصيدلة فقد عرف الأدوية المركبة والأدوية المفردة أي البسيطة التركيب والتي كان أصلها من النباتات والأعشاب أو من بعض أوراق الشجيرات أو قشور اللبان والزهر وغيرها. اما المركبة فقد كانت خليطا نباتيا وحيوانيا، واحيانا يضاف اليها بعض المركبات الموجودة في الاحجار والطبيعة، لذلك استطاع حنين ان يعرّب بشكل جيد بعض التعابير اليونانية ويضيفها الى اللغة العربية في حقل الطب والأدوية المركبة في كتابه "المنهج المنير في معرفة اسماء العقاقير" وفي ايجاد مصطلحات للمعاجين والمراهم والمضمضة والترياق والأشربة و الدهان وغيرها. وقد ذكر ابن القفطي بأن حنين، "كان بارعا في اللسان العربي شاعرا خطيبا فصيحا لسنا"، وإن لم يصلنا من شعره شيئا.

ألّف حنين معجما في الطب يتضمن العبارات والمصطلحات الطبية الجديدة التي ابتدعها حنين. ويذكر ابن بهلول في مقدمة معجمه انه استعان بمجموعة من التفاسير السريانية لكنه لم يشرْ الى مصدرها، ويعتقد المؤرخون بأنها منقولة من معجم حنين. وكان حنين قد ألّف معجما آخرا للمترادفات السريانية سمّاه "المترادفات" الذي ينسب خطأ الى جبرائيل بن بختيشوع. وقد قام زكريا المروزي في نهاية القرن التاسع للميلاد بتكملة معجم حنين حيث اضاف اليه زيادات عديدة.

ان معجم اللغة اليونانية ومعجم المترادفات السريانية، ومن المؤسف ان معجم اللغة اليونانية والمعجم الآخر لحنين مفقودان، وقيل ان يشوع بن علي الطبيب احد تلامذة حنين قد اضاف الى معجم اللغة السريانية ايضا (٩).

الفترة الأخيرة في بيت الحكمة

خلَف المأمون الخليفة المعتصم "٢١٨-٢٢٧هـ" فكان منصرفا عن بيت الحكمة وحركة التأليف والترجمة، لأن المعتصم كان معنيا بالحرب والقتال أكثر منه راعيا للعلم والمعرفة كما فعل المأمون او الرشيد، ولذلك لا نجد اخبارا تساعدنا على معرفة نشاط بيت الحكمة خلال خلافته. اما الخليفة الواثق "٢٢٨-٢٣٣هـ" فقد عني بترجمة العلوم النقلية اكثر منه بترجمة العلوم العقلية واعتمد بذلك على الطبيب يوحنا بن ماسويه في هذا المجال (١٠).

كان حنين باحثا يسعى الى طلب العلم طوال حياته حيث يقول انه في سبيل الحصول على كتاب "البرهان" لجالينوس الذي كان وجوده نادرا في زمانه "انني بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت في طلبه ارجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى ان وصلت الى الأسكندرية، ولكن لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في مدينة دمشق" (١١).

وقد تجددت حركة التأليف والترجمة وتوسع النقل عن التراث القديم، ما احدث ازدهارا ثقافيا في العصر العباسي الثاني، لكن هذه الفترة "بداية القرن الرابع الهجري" كانت اقل نشاطا في حركة الترجمة. إلا انه يمكن القول ان الاهتمام بالعلوم النقلية قد استمر. وعن هذه الفترة يذكر ابن جلجل ان حنينا اختير للإشراف على الترجمة في عهد المتوكل، فهيأ حنين كتابا عارفين في الترجمة، فكانوا يترجمون له وهو يصحح ما ترجموه.

المصادر

(1) ابن ابي أصيبعة، موفق الدين "٦٠٠-٦٦٨هـ" عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة "ص٢٦١".

(2) الجميلي، رشيد حميد. حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة. طرابلس: الكتاب للتوزيع والطبع، ط١/ ١٨٢ "أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة القاهرة، ١٩٦٠" ص٣٦.

(3) ماهر عبد القادر محمد. حنين بن اسحق: العصر الذهبي للترجمة. بيروت دار اليقظة العربية، ١٩٨٨، ١٧٤ ص "٤٨".

(4) الجميلي، رشيد. حركة الترجمة في المشرق الاسلامي.. المصدر السابق "ص٢٣٦".

(5) الجميلي، رشيد. حركة الترجمة في المشرق الاسلامي.. المصدر السابق "ص٣٩".

(6) أبونا، "الأب" البير "حنين بن اسحق" في كتاب، أدب اللغة الآرامية. بيروت: دار المشرق، ط٢/ ١٩٩٦ "الصفحات ٣١٨-٣٢٠".

(7) ماهر عبد القادر. حنين بن اسحق. المصدر السابق "ص١٥٨".

(8) التكريتي، سليم طه "التعريب في الاسلام" سومر/ بغداد/ بغداد: مديرية الآثار العامة جـ١-٢ مجلد ٣٢/ ١٩٧٦ "ص ٣٧١".

(9) دوفال، روبنس. تاريخ الأدب السرياني ترجمة لويس قصاب. بغداد: مطرانية السريان الكاثوليك، ١٩٩٢ "ص٣١٧-٣١٨".

(10) ابن القفطي، جمال الدين ابي الحسن "ت ٦٤٦هـ" تاريخ الحكماء وهو مختصر ابن الزوزني المسمى في المنتخبات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء. بغداد: مكتبة المثنى، د.ت "ص٦٨".

(11) الجميلي، رشيد. حركة الترجمة.. المصدر السابق "ص٩٢".

الإحتباس الحراري.. الخطر القادم

ذنون محمد/ تلكيف

اصيب كوكبنا الارضي بجملة من التغيرات المناخية والتي قد تهدد الارض بكارثة كبيرة خصوصا وان الكثير من الابحاث العلمية قد بينت ذلك واشارة الى خطورته.. ومن هذه التغيرات الارتفاع الكبير في درجات الحرارة وهو عامل مهم في ادامة الحياة وسر من اسرار الحفاظ على الحياة الانسانية المختلفة اضافة الا ان الاتفاع الحراري له تأثير على الكثير من الانماط الحياتية المختلفه.

تؤكد بعض المصادر والاراء العلمية ان اسباب ذلك هو التطور الهائل الذي تشهده بعض الدول خصوصا في مجال الصناعات وانتشار ثاني اوكسيد الكاربون مما زاد من توسع ما يسمى بثقب الاوزون وهي طبقة غازية تحمي الارض من الاشعة الشمسية القوية.. على سبيل المثال ان التقدم والنمو الكبير الذي تشهده الصين قد لعب الدور الاكبر في ذلك وقد اتخذ الصينيون جملة عوامل لتقليل من هذا الانبعاث خصوصا وانه يحيط بالكرة الارضية مما يغير من المناخ السائد.. أي ان ثاني اوكسيد الكاربون عندما يطرح الى الفضاء يبقى على حاله ويستمر في الزيادة يوما بعد اخر وان كان القسم الاكبر منه تتم الاستفادة فيه بعملية التركيب الضوئي للنباتات وتلك من سنن الخالق في هذا الكون.

ان الكثير من الدول قد اتخذت اجراءات احترازية للتقليل من هذا الانبعاث والذي يتولد بحالات كثيرة ابتداءا من التنفس وانتهاءا بالانبعاثات الصناعية الضخمة.. وقد عقدت الكثير من المؤتمرات والاتفاقات الدوليه لبيان خطورة ذلك ومنها اتفاقية "اكيتو" في اليابان، حيث وقعت الكثير من الدول عليها ايمانا منها بخطورة هذه الظاهرة على مستقبل الحياة الانسانية بصورة عامه.. وهذا الارتفاع غير المسبوق الذي تشهده الارض ادى ايضا الى اذابة الكثير من المناطق الثلجية مما ادى الى تقليل المناطق اليابسة او انحسارها.. ويؤكد البعض ان الصراعات السياسية المستقبلية ربما تكون للحصول على مناطق يابسة تتوفر شروط الحياة فيها وليس للبحث عن النفط فقط.. فإنحسار مساحات المناطق اليابسة قد يكون هو هدف الصراعات السياسية خلال المستقبل المنظور هذا ما تؤكده بعض الدراسات التي صدرت اخيرا والتي بينت احد مخاطر الاحتباس الحراري.. وهذه الانهيارات الثلجيه كانت سببا من اسباب الفيضانات التي تشهدها دول العالم خصوصا في اوربا وشرق اسيا، حيث ذهب الالاف ضحايا وخسائر مادية ايضا بالمليارات.

ان مناطقنا العربية على سبيل المثال كانت بعيدة عن هذه الكوارث الكونية ولكن نتيجة لهذا التغير المناخي الكبير فقد اصابتها هي الاخرى الكوارث الطبيعية.. فقد شهدت منطقة خليج عمان والامارات على سبيل المثال اعاصير قويه شلت الحياة الاعتيادية في هذا الجزء من الارض الذي كان والى فترة قريبة بعيدا عن الاعاصير وقوتها التدميرية.. اضافة الى ظهور نشاطات بركانية على جزر تقع على البحر الاحمر.. اذن اصبح خطر هذه الكوارث يشمل جميع مناطق الارض وليس حكرا على مناطق معينة.. ان قوة هذه الكوارث الطبيعيه كبيره جدا بحيث لاتستطيع أي تقنية ان تقف امامها او تحاول التقليل منها.. فأمريكا على سبيل المثال وهي بهذا التقدم العلمي الكبير لم تستطع ان تمنع الاعاصير او حتى التقليل من قوتها.. واليابان هي الاخرى على قوتها العلمية الغير خافية على احد لم تستطع هي الاخرى ان تقلل من الاهتزازات الارضية التي تضربها من اعماق الارض فهي تصيبها بين الحين والاخر مسببة خسائر كبيرة لها رغم الاحتياطات الكبيرة التي قامت بها خصوصا في عملية تشييد المجمعات السكانية من خلال تصميم مباني لاتتأثر بالزلازل الارضية.

وعليه يمكن القول ان المحافظة على الارض هي مسؤولية تقع على الجميع ابتداءا بالدول الكبرى التي تقع ضمن العالم المتحضر او المتقدم وانتهاءا بالدول التي تسمى بالعالم الثالث فهي مطالبة جميعا باتخاذ ما يلزم للتقليل من هذا الامر او تقليل خطورته وذلك اضعف الايمان.. فعلى سبيل المثال اتخذت ايطاليا اجراءا قد لايعي المواطن البسيط اهدافه فقد طلبت من مواطنيها التخلي عن ربطة العنق وذلك حفاظا على البيئة.. قد يستغرب البعض من هذا الامر ويعده احدى ميزات الغباء الغربي ولكنه بكل تأكيد واحدا من الحلول الذكية للتقليل من خطورة هذه الظاهره التي يعتبر الانسان المسبب الاول لها نتيجة الاسراف في الطاقة بكل مجالاتها..

فهذا التطور الرهيب الذي تشهده الارض من صناعات متقدمة وتسابق خطير في مجال التسلح التقليدي والنووي ادى الى بروز هذه الحالة.. ان الكثير قد لايعي او يستسيغ هذه الخطورة وتأثيرها المدمر على الارض ولكن الابحاث العلمية اكدت خطورتها على مستقبل الحياة على هذا الكوكب الجميل خلال السنوات القليلة القادمة.

القاضي.. الجلاد

بقلم: عصام شابا فلفل

لعبة نمارسها جميعا دون قصد احيانا وعمدا احيانا اخرى، والدافع الرئيسي الى ممارستها هو حب الكلام وحب الاطلاع على ما يحكى من قبل الاخرين ونقله الى فئة اخرى.. فبعضنا يتصرف ببلاهة امام الملأ وينطق باحاديث وكلمات غير لائقة على اناس اخرين غير ابه بمشاعرهم ومشاعر الذين يسمعون الحديث والذين قد يستمتعون به احيانا، وقد يكون في كلامه شيء من الحقيقة ، ولكن اكثره وان لم نقل كله كذب وتلفيق وعار عن الصحة.. فما دام يحكي او يتكلم على الناس امامنا فلنتوقع ان نكون نحن ضحيته المقبلة اذا تكلم امام اناس اخرين وفي مكان اخر.

وقد يحدث ان نكون في مجلس فيبدأ احدهم بالحديث عن فلان "وهو غائب طبعا" ويصفه بكذا وكذا.. وهنا تبدأ سلسلة من الاتهامات من قبل شخص اخر يعززها تأييد رجل اخر وتصديق اخرين، ثم ينبري احدهم للدفاع عن الغائب.. وتستمر المداولات بين اخذ ورد، وبعدها يصدر المجلس حكمه على هذا الغائب الحاضر دون مراعاة لانسانيته وشعوره وحقوقه كأنسان ، وسواء كان الحكم بالمديح او الذم، فالامر سيان.. اما في مجالس التعزية وخصوصا مجالس النساء فحدث ولا حرج، اذ ان الكثيرات منهن يحضرن تلك المجالس كي يستمعن الى حديث فلانة وفلانة على فلانة "الغائبة عن المجلس هي الاخرى"، فيختلقن قصصا واساطير ليس لها وجود الا في مخيلتهن، وتستمر المحادثات الى ان ينتفض المجلس بصلاة الغائب على روح المرحوم.. وهكذا تجري الامور حتى على المستويات الاعلى ايضا- اقصد المستويات الثقافية- فلو شوهد احدهم يتمشى او يسير مع شخص اخر ينتمي الى فئة او طائفة معينة ، نبدأ حالا بالاشارة اليه بالبنان وننعته بشتى الاوصاف ونعتبره بانه قد انتمى الى تلك الطائفة وانه قد باع روحه رخيصة لها وانه يعمل كجاسوس لتلك الفئة على حساب فئة اخرى.

وهناك من يحكم على الاشخاص من مظهرهم الخارجي او من خلال ما يتملكونه من اموال دون الرجوع الى مصادرها "مصادر الاموال" او الطريقة التي حصلوا عليها، كل ذلك لا يهم، فمثلا رجل يركب سيارة "بي ام دبليو" الفارهة ويرتدي بدلة انيقة وربطة عنق فاخرة يتوسطها عقد من ذهب ويضع على عينيه نظارة جميلة ويدخن سيكارا كوبيا ويسير خلفه عدد من الذين استأجرهم لحمايته.. يحكم الناس عليه بالقول لانه مثقف وابن ذوات وانه يعمل للصالح العام ويلصقون به كل الصفات الحسنة "وان كانت بعيدة عنه كل البعد" متناسين اخلاقه وانسانيته الحقيقية المتميزة وعدم الادراك لمجريات الامور وكيف كان حاله قبل ان يحصل على تلك الاموال، وفي الكفة الثانية من الميزان نرى هؤلاء الناس انفسهم يذمون الانسان الفقير الشريف عمدا ويواجهونه بتهم قد يكون بريئا منها والتي تسببت في فقره، فيتهمونه بالبلادة والكسل ويعمل سيل الشتائم عمله في اذلال هذا الانسان دون مراعاة لظروفه وانسانيته، ثم يبدأ التهكم والازدراء والسخرية ثم ياتي اتهامه الاقوى بالغباء رغم كونه في موقع ثقافي معتبر وذا مقدرة عالية على الخلق والابداع الفكري والثقافي.. فيتحمل كل تلك الاهانات لكونه لا يمتلك اموالا يرد بها على امثال هؤلاء.. وهنا لا يسعنا الا ان نشير الى حالات الفرق بين هذا وذاك في المثال التالي.

لقد نشرت احدى الصحف الوطنية "وما اكثرها في الوقت لحاضر" مقالا يتضمن موضوعا تافها غير ذي معنى، فبمجرد ان نظر العامة الى اسم الكاتب.. وهنا تبدأ المفارقة.. حتى بدأ النفاق واخذ المديح الفارغ طريقهما الى القمة، واعتبروا المقال بانه تحفة ادبية نادرة، واعتبروا كاتبه اديبا مرموقا ولا يعلو عليه كاتب، وانه طه حسين زمانه واحمد شوقي في شعره وهيغل في فلسفته وافلاطون في جمهوريته وغاليلو في علمه والمهاتما غاندي في سياسته وحاتم الطائي في كرمه وموزارت في موسيقاه.. كل ذلك لمجرد كونه غنيا فقط !.. بينما نشرت زميلة "صحيفة" اخرى مقالة لكاتب اخر كان لها معناها العميق والمؤثر في بناء كيان هذا الانسان وتكوينه الثقافي والانساني، كما ان كاتبها يمتلك كل مقومات الكاتب الحقيقي، والذي من المفروض ان ينال الثناء على ما كتب، نرى ان الذي حدث هو العكس تماما.. فبمجرد ان نظر الناس الى اسم كاتب المقال حتى بدأ سيل الشتائم ينهمر كشلال هادر عليه وعلى الصحيفة التي نشرته، واتهم بانه غبي لا يفقه شيئا من الثقافة والافضل له ان يلزم داره بعيدا عن الاضواء الثقافية لأنها "الثقافة" لها رجالها امثال صاحبنا المثقف الغني.. كل ذلك لكون صاحبنا الاخير فقير الحال من الناحية المادية، لا يمتلك راتب يعيش منه.. رغم خلقه العالي واحساسه الانساني العميق.. يا لهذا النفاق المطبق .. يقيسون ثقافة الانسان بما يمتلكه من اموال!.

وهنا اوجه سؤالي الى الذين تهمهم هذه الامور: كم من مثقف ضاع في ضباب الفقر والبؤس وشظف العيش؟.. وكم من جاهل برز تحت ستار الغنى والبدلة الانيقة؟.. اما المثقفون الاغنياء فهم يحاولون دائما طرح افكارهم الخلاقة والمبدعة المليئة بالانسانية والمدافعة عن حقوق الفقراء، عبر شراء ذمم وعطف بعض الناس من العاملين في بعض الصحف والمجلات لنشر تلك الافكار البناءة "حسب اعتقادهم طبعا" وعن طريق اسمه "الدعم المادي" لتلك الصحف والمجلات.. فتبدأ حينها الصحف المعنية بالثناء والمديح وتبني افكار هؤلاء واعتبارها المنبر والقدوة الحسنة في خدمة المجتمع.. وبعدها تبدأ الابواق بعزف سمفونية القدر يطرق الابواب لبيتهوفن!.. عدا باب الابداع الذي يقفل بوجه المثقف الفقير في كثير من الاحيان .. ولهذا تكون الثقافة عند امثال هؤلاء مجرد مادة.. مادة.. اما تفسير كلمة المادة فاتركه لسادتي القراء الكرام.